

## صور نضال المرأة الجزائرية في سينما الثورة

"بين الحقيقة التاريخية والصورة السينمائية"

### Images Of Algerian Women's Struggle in Revolutionary Cinema

#### "Between Historical Truth and Cinematography"

د. مسعودة طلحة، أستاذ محاضر أ،

إعلام واتصال، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

m.talha@univ-biskra.dz

ت. الإرسال: 2023-04-09	ت. المراجعة: 2023-05-20	ت. القبول: 2023-05-25
------------------------	-------------------------	-----------------------

**الملخص:** حاولت هذه الورقة البحثية الإحاطة بالكيفية التي صورت بها المرأة الجزائرية في الأفلام السينمائية الثورية، وإبراز مجمل الأدوار التي اضطلعت بها في الحقيقة أو في السينما، وتقديم الأسباب الكامنة وراء تجسيدها لأدوار بعينها، وخلصت إلى أن الصور التي تناولت نضال المرأة الجزائرية بعضها كان بطوليا ومعظمها كان رمزيا أو ثانويا، وذلك لأسباب أهمها صعوبة وحساسية تجسيد مجمل النضالات والمعاناة والانتهاكات التي تعرضت لها المرأة الجزائرية أثناء الثورة من جهة، ومن جهة أخرى منحى التوجه السينمائي بعد الاستقلال الذي انصب حول قضايا أخرى بعيدة عن الثورة مع قلة الروايات والسيناريوهات المتخصصة والإخراج من العنصر النسوي.

**الكلمات المفتاحية:** الصورة السينمائية، النضال، المرأة الجزائرية، الثورة.

**Abstract:** This paper attempted to capture how Algerian women were portrayed in the revolutionary cinematic films, and to highlight the overall roles that women played in reality or in cinema, it presented the reasons behind the embodiment of certain roles, and concluded that some images of the Algerian woman's struggle were heroic while most of them were symbolic or secondary, This is due, in particular, to the difficulty and sensitivity of reflecting all the struggles, suffering and violations endured by Algerian women during the revolution, and, on the other hand, the orientation of post-independence cinematography on other issues away from the revolution, with a lack of novel and specialized screenplay and female directors.

**Keywords:** Cinematography, struggle, Algerian women, revolution.

المؤلف المرسل: مسعودة طلحة، الإيميل: m.talha@univ-biskra.dz

## مقدمة

شهدت ثورة التحرير المظفرة محطة بارزة في تاريخ المرأة الجزائرية ، أثبتت فيها كينونتها ، وقدراتها على كسر قيود النظرة الدونية، وعلى المساهمة مثلها مثل الرجل ومن مكانها في الثورة وتحقيق الاستقلال، كيف لا وهي التي أنجبت وأعدت جيل الثورة، حتى أنه يمكن القول " بأن المرأة الجزائرية أثناء الثورة التحريرية كانت أكثر تحررا منها بعد الاستقلال، فالثورة لم تكن ضد المستعمر فحسب بل كانت أيضا ضد الأفكار البالية(مفقودة الصالح ، دت: ص2) "

وتثبت لنا الصور والوثائق التاريخية والشهادات الحية أشكالا مختلفة وكثيرة من نضال المرأة الجزائرية أثناء الثورة وتضحياتها الجسام وأيضا أشكال التعذيب والتنكيل التي تعرضت إليها، حيث أرخت هذه الوثائق لأحداث بارزة كالمعارك والمجازر التي تواجدت فيها النساء، وأخرى لسيدات جزائريات مجاهدات أو فدائيات ومسبلات في الجبال أو في الأرياف أو في السجون.

وانطلاقا مما سبق حاولت الأفلام السينمائية الثورية والوثائقية التي انتعش نشاطها أثناء الثورة وبعدها تقديم صور هذا الكفاح والاقتراب من حقيقته وإعطاءه الطرح الكاف والنوعي من أجل جعل الخيال السينمائي أقرب للحقيقة بكل تفاصيلها اللحظية المادية والمشاعرية. وقد قدمت دراسات علمية ليست بالكثيرة لو تم احصائها بتحليل صورة المرأة الجزائرية من خلال فيلم سينمائي واحد حيث تم الإعتماد على بعضها كمراجع في هذا المقال ، إلى أن هذه الدراسات كما سبق وذكرنا لم تعطي رؤية شمولية بل ركزت على الدور من خلال رواية واحدة أو فيلم واحد ،وعليه نتساءل : هل عكست سينما الثورة نضال المرأة الجزائرية ودورها الفعلي أم أن تناوؤها لم يرقى لتجسيد حقيقة دور المرأة وكفاحها ؟ وما الأسباب الكامنة وراء ذلك؟

وهذا بالضبط ما يصبو هذا المقال لسبر أغواره فيما يأتي:

### 1. تقديم لبعض المفاهيم:

قبل أن نتوجه لسرد أدوار المرأة في الثورة وكيف تم تجسيدها في السينما لابد وأن نستأنف بتقديم بعض المفاهيم التي تسهم في فهمنا أكثر لمتغيرات هذا المقال.

### 1.1. الصورة :

ورد لفظ الصورة في القرآن الكريم وهذا في قوله تعالى "هو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم" (سورة الحشر: الآية 24) جاء في لسان العرب لابن منظور ، مادة ( ص و ر ) : "الصورة في الشكل ، والجمع صور ، وقد صوره فتصور ، وتصورت الشيء توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير : التماثيل"، و قال ابن الأثير : "الصورة ترد في لسان العرب - يقصد ألسنتهم - على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة كذا وكذا أي صفته". "وقد يراد بالصورة الوجه من الإنسان أو الهيئة من شكل وأمر وصفة" (ابن منظور، 2011: 492). وهي "بديل بصري للواقع...واقترع جزء من الواقع ووضعه أمام المتلقي، أي أنها تجعل العالم مرئيا"(سلمان، 2010:ص 165). أما الصور الذهنية فقد ورد في قاموس ويبستر في طبعته الثالثة بأنها مفهوم عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة الأساسي نحو شخص معين، أو نظام ما، أو طبقة بعينها، أو جنس بعينه، أو فلسفة سياسية، أو قومية معينة، أو شيء آخر. (عجوة، 1983:05).

### 2.1. المرأة :

لا نستطيع أن نجعل المرأة مصطلحا ليعرف فهي أكبر من ذلك ويمكن فقط أن نقول إن : " المرأة هي الأم والزوجة والأخت والابنة وهي جزء لا يتجزأ من قضايا المجتمع كله ، وهي كيان مؤثر بوصفها نصف المجتمع ، تجعل من الأهمية بمكان أن ننظر إليها باعتبارها كيانا مشاركا وفعالا في صناعة الحاضر واستشراف المستقبل جيلا بعد جيل، ومن خلال ها المنظور ينبغي الاهتمام بقضية المرأة ، ووضعها في سلم الأولويات للاستفادة من مشاركتها الشاملة لا الجزئية في صناعة الحياة بكل أبعادها وجوانبها"( رضوان، 2006:ص 13 ).

### 3.1. السينما :

هي كلمة مختصرة للتعبير الفرنسي Cinématographe وتعني الفن السينمائي ويقابل هذا المفهوم الفرنسي التعبير الفصيح "خيالة" . وجاء في تعريف معجم المصطلحات السينمائية لميشيل ماري ، أنها "اختصار لكلمة Cinématographe أي التسجيل الحركي ، وهذه الكلمة المتعددة المعاني تدل

في الوقت نفسه على الأسلوب التقني وانتاج الأفلام (عمل السينما)، وعرضها (عروض وحفلات سينمائية) وقاعة عرض (دار السينما)، ومجموع نشاطات هذا الميدان (تاريخ السينما) ومجموع المؤلفات الفلمية مصنفة في قطاعات كالسينما السوداء، والسينما الصامتة والسينما التجارية...، وتدل الكلمة أيضا على مجموع التقنيات والأساليب السينمائية وعلى ذات النشاط يمكن النظر إليها على صعيد جغرافي فنقول السينما الآسيوية أو السينما الإسبانية " (ماري، دت: 16-18). ويرى محمد منير حجاب أن السينما "وسيلة إعلام جماهيرية للتوجيه والإقناع والتثقيف والتعليم" (منير حجاب، 2004: 299).

#### 4.1. الثورة :

تعرفها موسوعة علم الاجتماع بأنها: التغييرات الجذرية في البنية المؤسسية للمجتمع، تلك التغييرات التي تعمل على تبديل المجتمع ظاهريا وجوهريا من نمط سائد إلى نمط جديد يتوافق مع مبادئ وقيم وأيديولوجية وأهداف الثورة، وقد تكون الثورة عنيفة دموية، كما قد تكون سلمية، وتكون فجائية سريعة أو بطيئة تدريجية (وجدي، دت: 776).

يعرف الباحث والمؤرخ الأميركي كرين برينتن في كتابه "تشریح الثورة أن " الثورة من الكلمات التي تتصف بالغموض، وقائمة الأحداث والأفعال المرتبطة بهذه الكلمة غير محدودة، فهناك الثورة الفرنسية الكبرى، والثورة الأميركية، والثورة الصناعية، والثورة في هايتي، وثورة اجتماعية، وثورة السود في أميركا، وثورة في تفكيرنا، وثورة في صناعة السيارات الخ... (كرازين، 1975: 31). وتعرف الثورات التحريرية، على أنها حروب شعبية في أشكالها ومضامينها، تلعب فيها الجماهير الشعبية، الدور الفاصل والحاسم في تحديد نتائجها، ومن ثمة فلا غرابة، أن تظل هذه الجماهير في البلاد المستعمرة، تشكل جوهر الصراع بين الإدارة الاستعمارية وبين الثوار الوطنيين (سايج، 2020: 01). والثورة الجزائرية دارت في الفترة 1954-1962 وانتهت باستقلال الجزائر من الاستعمار الفرنسي.

#### 5.1. الصورة السينمائية:

تتجلى الصورة السينمائية، كإمكانية تمثيلية موازية للإمكانات المتاحة في الصيغ المتعددة لفنون التصوير اللغوي والبصري، غير أنها تمتاز عنها بكونها تمتلك القدرة على التواصل بأكثر من لغة. فهي

تنهض بالأساس على استثمار مجمل الوسائط والإمكانات التعبيرية المرئي منها والذهني المحسوس والمجرد (ماجدولين، 2006: 130).

ومن عرضنا للمفاهيم السابقة فإننا نقصد بتصوير السينما لنضال المرأة الجزائرية في الثورة، هو ما انتج من أفلام ثورية عرضت في السينما وتناولت مظاهر وصور كفاح المرأة، والأدوار التي لعبتها والتضحيات التي قدمتها.

## 2. الدور الحقيقي للمرأة في الثورة

لعبت المرأة الجزائرية دورا هاما يذكره التاريخ لها بالإعجاب والتقدير على مر العصور، وأحدثت بشجاعته انقلابا جذريا في المفاهيم فكان بذلها وعطاؤها لا حدوده. و"كانت المرأة حاضرة في كل الثورات المنتصرة والمنتكسة طيلة قرن وربع قرن ضد الاحتلال، وكانت صانعة ومؤثرة في الأحداث وعلى أكتافها الصغيرة تقع الأعباء الكبرى، إنها التي ترابط في الشوارع والأرصفة راصدة تحركات العدو وهي التي تفتح البيت وتهيب أفراد الأسرة وتجندهم لخدمة فوج ما من الفدائيين، وهي التي حملت العتاد والألبسة والمناشير والتقارير عابرة مختلف الحواجز العسكرية والمعنوية، وبين هذه وتلك تسجل الذاكرة التاريخية أسماء آلاف المجاهدات والشهيدات والبطلات". (ونيسي، 1954).

" فلقد كانت تسمع نبأ وفاة زوجها وابنها تلبس أبيضاً وتزغرد فرحة باستشهادهم وتأتيها الجزائريات ليهنئنها بأن من عائلتها شهيد". (بلاسي، 1990: 225).

وأحدثت مشاركتها في ميدان الكفاح المسلح انقلابا جذريا في المفاهيم والأفكار بحيث استقبل جيش التحرير الوطني المرأة بفخر واعتزاز واثق بأنها ستتحمل الصعاب كأخيها الرجل وتنفذ بصدق وإخلاص مبادئ الثورة وتقوم بأصعب المسؤوليات. (نجاي وآخرون، : 28). أما فيما يخص كفاح المرأة ضد عمليات القمع و التشويه الاستعماري فينقسم إلى قسمين:

— **كفاح ظاهر ومباشر:** ويظهر في المظاهرات والتنظيمات والنشاطات الحزبية الإصلاحية، وفي مساعدة جيش التحرير في الجبال.

— **كفاح ضمني وغير مباشر:** وهو ذلك الموقف الايجابي الذي لعبته المرأة كمسؤولة عن مقومات الأسرة وعاداتها وتقاليد الروحية والحضارية، وبالتالي موقفها إزاء مقومات وخصائص المجتمع عامة، حيث أشاحت بوجهها عن كل ما هو أجنبي واستعماري بما في ذلك الثقافة والتعليم، متفطنة لدور الإغراء

والإثارة الذي يمثله الاستعمار معها قصد كسب ثقتها لأنه يرى أنه لا طريق أحسن وأضمن للوصول إلى تدمير شخصية هذا الشعب وأصالته وفضائله إلا بالاستيلاء على عقل المرأة. (العسلي، 1990: 28).

وكلفت رسمياً المرأة الجزائرية بالجهاد في مؤتمر الصومام، حيث فهم القادة الثوريين أنهم ملزمون بإقحام هذا العنصر الفعال في الثورة فجاء في ميثاق مؤتمر الصومام المنعقد سنة 1956 بـ"بجاية مايلي": "الثورة التحريرية قد تجاوزت النظرة المطالبة لتحرير المرأة والرجل ككل بل أعطت للمرأة دوراً ووظيفة" (قديد، 2007: 124). وهذا لا يعني عدم مشاركتها في الثورة قبل هذا التاريخ بل على العكس من ذلك فلقد التحقت بثورة أول نوفمبر بقيامها بمختلف الأعمال كالتطبيب والتمريض هذا بفضل الوعي السياسي الذي اكتسبته من خلال الممارسة السياسية في الحركات الإصلاحية ومن خلال نشاطها في الحركة الوطنية السياسية" استفادت المرأة الجزائرية كثيراً من العمل السياسي للحركة الوطنية الجزائرية على مدى نصف قرن بكامله فارتفع مستواها الفكري ووعيتها السياسي" (بوعزيز، دت: 24). وتحددت مهامها فيما يلي:

- المسبلة: فبفضل جاهزيتها وجمالها الفاتن والبراءة المصطنعة في سلوكها، استطاعت بكل سهولة أن تخترق الأوساط التي تريدها دون إثارة انتباه العدو ولاسيما في المراحل الأولى، تقوم المسبلة بخدمات تمثلت في ترصد حركات العدو ونقل المعلومات، كما تقوم باستدراج العدو إلى الكمائن" (شليبي، 2005: 301).

- الفدائية: يعتبر الفداء كفاحاً مسلحاً في المدن والقرى،... اعترف الجنرال ماسو في كتابه "معركة الجزائر الحقيقية" أن.. المرأة الجزائرية حملت القنابل ووضعتها في الأماكن المناسبة، " إذ نجد الكثير من النسوة كلفهن جيش التحرير بتنفيذ عمليات محددة ومعينة خاصة في المقاهي والأندية التي يرتادها جنود الجيش الفرنسي، وقد تجلّت هذه العمليات في معركة الجزائر، وكانت الفدائية تضع القنابل في المناطق المستهدفة، وتنقل الذخيرة في المدن وأحياناً تتشبه بالمرأة الأوروبية في لباسها وشكلها من أجل تحقيق مهمة كلفتها بها الثورة" (بركات، دت: 102)... "وفقاً لاختيارها المطلق الحرة، وكان هناك تنوع كبير فبينهن البنت والأم والمتعلمة وغير المتعلمة" (العسلي، 1990: 29). ، وبرزت في بعض المدن الجزائرية فتيات من مختلف الأعمار، أدين أدواراً خطيرة لا تقل عن الأدوار التي قام بها الشباب، فنسبت إليهن الكثير من التفجيرات بالجزائر العاصمة وأبرزهن: حسبية بن بوعلي، جميلة بوعزة، جميلة بوباشا، فكن بذلك مثالا في الوطنية والتضحية والفداء. (مسعود، 2012: 625).

- **التمويل والتمويل** : نشطت المرأة في التمويل والإطعام أكثر مما نشطت في غيره من المجالات الأخرى ، نظرا لطبيعة العمل الذي يتلاءم ووظيفتها المنزلية وخصوصيتها، فقد كانت تقوم بجمع التمويل في مراكز خاصة لأن حركتها لا تثير الشبهة مثل الرجل، كما كانت تقوم بأعمال الطهي ... وقد تنتقل من مركز لآخر بأمر من المسؤولين المحليين حسب تطورات الأحداث .

\_ **الدعاية والإعلام** : ساهمت المرأة في الدعاية والإعلام للثورة بقسط وافر، لاسيما في الريف حيث تتوفر فرص اللقاء في الأفواج والمناسبات المختلفة، فالدعاية للثورة في هذه الأوساط والترويج لا تتم عبر الصحف والناشير، وإنما تتم عن طريق الأحاديث ونقل الأخبار والتشهير بالأفعال الإجرامية للعملاء والإشادة ببطولات المجاهدين، وذكر المعارك والكمائن والحديث عن خسائر العدو فيها، وعن قرب الاستقلال والأمل بالنصر. بالإضافة إلى إيصال المعلومات وتزويد المسؤولين بالأخبار والإبلاغ عن الخونة وتحركات بعض ضباط وجنود الجيش الفرنسي (حفظ الله، 2012 : 15).

\_ **الصحة** : استفادت الثورة من مساهمة النساء الممرضات فكن يقدمن الإسعافات الأولية لجنود جيش التحرير وحتى المدنيين، وقد كان لهؤلاء النسوة نشاط بارز حتى قبل اندلاع الثورة الجزائرية . (قليل د.ت : 370).

وفي عديد المرات كان يقوم العدو بقبلة القرى والمداشر باستخدام الطائرات، مع فرض الحصار المحكم على هذه المناطق، مما يجعل تدخل الرجال غاية في الصعوبة، وحينها نجد المرأة تقوم بدورها في إسعاف الجرحى والمدنيين، بحكم قدرتها على التمويه والتوغل وسط السكان وتقديم الإرشادات و النصائح للنساء وحثهن على النظافة والوقاية من الأمراض المختلفة، مما يجعل الممرضة تضطلع بأدوار مركبة. (بركات، 2014 : 228).

كما تنوعت هذه المهام الموكلة للمرأة بحسب مكان تواجدها :

\_ **دور المرأة في الريف** : "عانت المرأة الريفية الويلات في وقت الثورة ، غير أنها وقفت مع المجاهدين فكانت تستقبلهم بالترحاب والابتسامة وتفتح بابها لهم في أي وقت وتبذل كل ما يمكنها لتقديم المأوى والغذاء وغسل الملابس العسكرية ، كما كانت تقوم بالحراسة والاتصال بينهم وجمع الأخبار والمعلومات الدقيقة وخلال المعارك الدامية تشارك في إسعاف الجرحى وتقديم الأسلحة والطعام تحت وابل الرصاص" (كبير، د.ت: 9). وتذكر الباحثة في التاريخ **هند قديد** أن عمل المرأة الريفية الجزائرية أثناء الثورة

كان الأصعب على الإطلاق وتقول " من الواضح أن هذه المجاهدة بصفة خاصة الريفية تحملت أخطر المسؤوليات " (قديد، 2007: 124).

— دور المرأة في المدينة : بالرغم من الحصار الذي كان مفروضا في المدن إلا أن "المرأة استمرت في عملها حاملة رسالة النضال منفذة المهام المنوطة بها، قائمة بجمع التموين والأموال والأدوية والعتاد إلى مراكز الاتصال، كما عملت على القيام بالاتصالات السرية بين المسؤولين والوحدات ونقل البريد والتعليمات والمناشير والأسلحة والقنابل الموقوتة لوضعها في الأماكن المقررة (الصلابي، 2015: 630) . فلقد لعبت دورا مهما لا يقل أهمية عن أختها المجاهدة الجندية في الجبال تجدها فدائية في صفوف جبهة التحرير الوطني ومجاهدة تنفذ عملياتها في المدن، تعيش وسط السكان لا ترتدي الزي العسكري بل تبقى بزيتها النسوي حتى لا تثير شكوك السلطات الاستعمارية، حيث برزت في بعض المدن فتيات في مختلف الأعمال أدين أدوار خطيرة لا تقل عن الأدوار التي قام بها الشباب وقمن بأعمال خلدت ذكرنهن ومجدت أسماءهن (العسلي، 1990: 30).

### 3. التصوير السينمائي لدور المرأة في الثورة :

إن نضال المرأة الجزائرية دفاعا عن وطنها المفدى لم يتوقف بإلقاء القبض على المجاهدة "لالا فاطمة نسومر"، وإنما واصلت كفاحها ضد المستعمر حتى في فترة ما بعد المقاومة الوطنية المسلحة التي سكت فيها دوي الرصاص وفسح المجال للعمل السياسي، بعد أن أدركت يقين الإدراك بأنها طرفا في المجتمع يقع عليها تحمل جزء من المسؤولية في الدفاع عنه والمشاركة في بناء مستقبل الوطن، ولأداء واجبها أحسن وجه خاضت نضالا على جبهات عديدة اجتماعية وثقافية وسياسية (يحياوي ، 2007: 11). وسجلت المرأة الجزائرية حضورا لافتا في السينما الجزائرية على العموم والتاريخية والثورية على الخصوص فقد قدمت أدوارا كثيرة بعضها كان بطوليا ومعظمها كان ثانويا أو في مستوى ثان.

### 1.3. الدور الثانوي :

إن ظهور المرأة في الأفلام الثورية تحديدا لم يخرجها من وسطها الأسري وواجباتها نحو أطفالها، ويتجلى ذلك في قول لطفى محرزى: " إن المرأة دائما حاضرة في السينما الجزائرية ولكن هذا الحضور يتميز في كل الحالات بخلوه من كل دلالة رمزية، فالشخصيات النسوية المقدمة محو عنها الدور

الحركي الذي تتطلبه الشخصية الفعلية" بمعنى أن المرأة الجزائرية برغم مشاركتها المختلفة: مجاهدة، ممرضة، فداية... الخ، في ساحة المعركة إلا أنها برزت في الأفلام بوجه الأم الحامية، المعيلة لأولادها والتي لا تستطيع تجاوز فضائها المغلق المتمثل في البيت، فمثلا المرأة في فيلم "ريح الأوراس" (1966) لمحمد حامين ، بالرغم من حضورها المكثف إلا أنها كانت مجرد عنصر من عناصر القصة الكلية المتمثلة في حرب التحرير، فالفيلم لم يقدم صورة إيجابية عن المرأة لأن الأم في هذا الفيلم أعطت الأولوية لحبها لابنها على حساب حب الوطن فلم تستطع التخلص من الركام العاطفي الذي تحمله لابنها ونجدها في آخر الفيلم قد استسلمت للحزن حيث انتهت رحلتها باصطدامها بالحاجز المكهرب وهذا منافيا تماما لواقع المرأة الجزائرية التي ترفع الزغاريد عاليا إثر استشهاد ابنها في سبيل الوطن. (Maherzi, 1980: 290).

### 2.3. الدور البطولي

بدأت صورة المرأة المجاهدة المكافحة جلية في مختلف الأفلام السينمائية التي تطرقت للثورة التحريرية المباركة وتظهر المرأة هنا في صورة المرية وصاحبة الدعم اللوجستيكي للثورة سواء بالرجال من خلال الابن والأخ والزوج أو من خلال الدعم المادي وتوفير المال والإيواء والأكل، بل نقلت بعض الأفلام -رغم قلتها- صورة المرأة التي تحمل السلاح جنبا إلى جنب مع أخيها الرجل، واختلفت آراء المشاهدين لهذه الأفلام حول صورة المرأة (شعبان شاوش، جانفي 2017: 157) من عمل لآخر ، ... فمن أهم الأفلام التي ظهرت فيها المرأة بصورة قوية هو فيلم "جميلة بوحيرد 1958" وهو الفيلم الذي تناول مسيرة نضال المجاهدة صاحبة الاسم أظهر دور المرأة الثورية المناضلة الصابرة المكافحة صاحبة القضية وكيف أن إصرارها على حريتها أصبح قضية عالمية ومعه القضية الجزائرية ككل. وكذلك الأمر بالنسبة لفيلم "معركة الجزائر"، فلقد أظهر هذا الفيلم أن المرأة كانت رفيقة الكفاح مع الرجل وكانت تتحدى الصعاب من أجل تحقيق قضية وطنها العادلة (نايلي، 2013: 187). وعمل على نقل صورة المرأة الفداية التي تحمل الموت بين يديها من دون خوف، ...، وحتى بعد الاستقلال عملت السينما على تصوير المرأة المكافحة، المثابرة الطبية والممرضة، والفداية، وتم القضاء على عقدة الرجل بالنظر إلى المرأة كربة بيت لا غير ("زراري ، 2010 : 123 - 124).

وحسب أحمد بجاوي: فقد قدم المخرج عبد العزيز طولي هو الآخر فيلم "نوة" في 1973 ... وهو فيلم اجتماعي يعالج ظروف الفلاحين وأيضا عمل فكري ثوري ينتهي مع اندلاع الكفاح

المسلح 1954 في ...ويبقى نوة في هذا الاتجاه أحد الأفلام الجزائرية النادرة التي تقترح مسعى تاريخيا وتحليليا. ففي هذا السياق الاجتماعي الصعب يجعل المؤلف من إحدى المراهقات بطلته. (بجاوي، 2014 : 2).

وفي عام 2003 انتج الفيلم التسجيلي "المرأة شجاعة"، لأحمد راشدي" ، وهو سيرة ذاتية تتبع الحياة العاصفة للويذة اغيل احريز" ، وهي مناضلة ورمز من رموز استقلال الجزائر أنقذها من الموت شخص لا تعرفه، فبحثت عنه 40 عاما لتعبر له عن شكرها، وعندما وصلت إلى مكانه عام 2000 علمت أنه توفي عام 1997. وظهر الفيلم في عدد من المشاهد التي تعبر عن المقاومة الجزائرية والتعذيب الذي لاقاه آلاف المسجونين وشهادات عدد من السجناء والمناضلين ((شعبان شاوش، جانفي 2017: 157)). ولكن انتظرنا 60 عاما كاملا منذ الاستقلال ليبرز للنور الفيلم الوحيد الذي تناول سيرة بطلة من أبطال الثورة ألا وهو فيلم "صليحة" 2022 الذي هو من نوع *biopic* أو فيلم السيرة الذاتية الذي قدم لسيرة المجاهدة الطيبية زوييدة ولد قابلية التي أشرفت بسرية تامة على النشاط السياسي بالمنطقة السادسة وعملت في ميدان تعبئة وتجنيد نساء المنطقة علاوة على عملها الميداني الطبي، وهو بادرة طيبة تحسب على الصناعة السينمائية الجزائرية.

### 3.2. الدور الدلالي والرمزي:

بالإضافة إلى كون المرأة في الأفلام الأولى كان دورها ثانويا لكن لم يمنع هذا من رسم صورة للمرأة في العديد من الأفلام المتعلقة بالثورة التحريرية حتى وإن كانت رمزا لا بطلة ( زراري ، 2010 : 123، 124).

"عملت السينما الجزائرية الثورية في بداياتها على نقل صورة المرأة: المرأة المجاهدة، المرأة الثورية، المرأة التي ساندت الرجل في غمار الحرب، سعيا لنيل الاستقلال الذي لا بد منه للرجال والنساء، ومن أهم الأفلام التي عملت على تقديم نقل مقرب لما عاشته الجزائر و المرأة الجزائرية أثناء مقاومتها للاستعمار الفرنسي: فيلم "الليل يخاف من الشمس"، لمصطفى بديع عام 1965 ( زراري، 2010 : 123، 124) ، وفيلم "الأفيون والعصا" 1969 الذي حمل الكثير من التناقضات والدلالات الرمزية، وتناول قصة الأم التي لديها ابنان أحدهما بطل والآخر خائن، وهي دلالة عن الأرض التي تنجب الصالح والفساد

والابن البار والعاق في الوقت نفسه، بالإضافة إلى دور المرأة الصابرة لمراة العيش في جو الثورة والزوجة التي تزغرد فخرا باستشهاد زوجها .

ويجد المؤرخ الفرنسي بينجامين ستورا *Benjamin Stora*، أن هناك القليل عن النساء في الأفلام الثورية فلقد صورت وفق المعاملة التي كان عليها تحملها إما من الجنود الفرنسيين أو من الجزائريين، حتى أن الكثيرات منهن واجهن المتاعب في الحصول على بطاقة المحاربين القدامى ، هناك فيلم وثائقي جزائري بعنوان " قداش تحبني " لعز الدين مدور والذي لم يعرض في فرنسا خصص للنسوة اللاتي حكم عليهن بالإعدام في السجون الفرنسية والذي عرض في الكثير من المرات في التلفزيون الجزائري، هناك أفلام فرنسية قليلة حول المرأة خلال هذه الحرب، سواء كامرأة ، أو كزوجة أو خطيبة ، ممرضة أو مجاهدة ، فغياهما كان لافتا ، لكن هناك العديد من الأعمال الأكاديمية ، بما في ذلك أعمال رافائيل برانش *Raphaëlle Branche*، حول قضية النساء اللواتي عانين من العنف في الجزائر، لكن تصوير هذه الانتهاكات في الأفلام السينمائية لا يزال يمثل مشكلة كبيرة. ( Benjamin Stora : Octobre p 22-23 : 2017 ).

#### 4. التحليل النقدي لصور نضال المرأة الجزائرية في الثورة

ترى نبيلة سنجاق أن السينما الجزائرية منذ نشأتها تطرقت إلى المرأة، من خلال رؤى متفاوتة من مخرج إلى آخر، متأرجحة في ذلك بين ما هو فني وجمالي وما هو تجاري ومادي. وبين ما هو سلبي وما هو إيجابي، وتنوعت صورة المرأة في السينما الجزائرية وأخذت صورا متداخلة ومتناقضة، أبرزها "المرأة المجاهدة المكافحة"، وتبدو هذه الصورة جلية في مختلف الأفلام السينمائية التي تطرقت للثورة التحريرية المباركة (مالك: <https://www.el-massa.com/dz/%D8%>).

ومن مجمل الآراء والحقائق التاريخية والكليشيات السينمائية يمكن وصف الكيفية التي صور بها نضال المرأة الجزائرية في سينما الثورة وفق اتجاهين أحدهما سلبي والآخر إيجابي .

يتعلق السلبي بتصوير المرأة :

\_\_ في المرتبة الثانية ( مستوى ثاني ) فقد غلب عليها الدور الأسري. وهو ما يساهم في تشكيل صورة نمطية سلبية لدى المشاهد حول دور المرأة في المجتمع عموماً ودورها في الثورة بالتحديد، إذ ركزت الأفلام على تصوير دور الرجل الثوري النضالي بخلاف المرأة التي جعلت منها مجرد شخصية ثانوية يكمن دورها في تربية الأبناء وتحضير الطعام وانتظار رجل البيت (بارة وبومعزة، 2016/2015: ).

\_\_تسطيح دور المرأة (المنتجة العاجزة، المغتصبة، المزغردة عند موت الشهداء)، وفي هذا الصدد أوضحت الشاعرة سمية محنش للجزيرة نت أنه بالرغم من أن "المرأة الجزائرية لعبت دوراً ريادياً في بناء الجزائر الحديثة بنضالها جنباً إلى جنب مع الرجل في كفاح حياتي مرير"، لم يقتصر برأيها على "الصورة النمطية التي روج لها من خلال حرب التحرير، بل تعداها إلى بناء نشء واع بحاضره وعارف بتاريخه... إلا أن السينما الجزائرية في تقديرها لم "تف صورة المرأة حقها، بل صورتها في أغلب الأحيان بمظهر الندابة العاجزة، ولم تصنع بعد أكثر من خمسين عاماً من الاستقلال فيلماً واحداً تعطي فيه لبطة واحدة من بطلاتها البطولة فيه، أو تخرجها من صورة نمطية قبعت فيها لسنين(بودهان : 2014/12/15).

\_\_ المرأة رمز وليست بطة: ولعل من أبرز الجوانب التي عاجلها المخرجون باستخدام الفن السابع لتسليط الضوء على الانتهاكات الإنسانية التي اتخذت في حق الشعب الجزائري هي قضية معاناة المرأة التي تمثل حضورها في السينما القديمة بأدوار ثانوية وافتقاده لكل دلالة رمزية، فبالرغم، من كل الجهود التي قدمتها المرأة في الثورة إلا أنها لم توظف ويوظف دورها كما هو في الواقع وانحصر النظر إليها كأماً وأخت تبكي موتها لا غير.(بريكي، 2018-2019: 10)

\_\_عدم إبراز كل أدوارها وتضحياتها. (المتصوفة، كاتمة الأسرار، الصابرة أمام التعذيب، المرأة المغتصبة، نضال المرأة في المهجر،).

أما الإيجابي فيبرز أن طرق تصوير المرأة :

\_\_ غيرت من النظرة الدونية لدور المرأة في المجتمع الجزائري .

- أبرزت كل الأدوار : كأم وأخت ومجاهدة ومناضلة وفدائية ... في المدينة أو في المداشر والأرياف.

\_\_ أبرزت معاناتها وتضحياتها وكل ما تحمته خلال الثورة أو قبلها مثلها مثل الرجل على السواء.

\_\_ سلطت الضوء على حقبة تاريخية أبرزت حقيقة مكانة المرأة في المجتمع الجزائري وكيف ساهمت الثورة في ارتقاء دورها.

## 5. أسباب عدم التوازن في تناول السينمائي لنضال المرأة الجزائرية

إن الطريقة التي صورت بها نضالات المرأة الجزائرية في الأفلام السينمائية المخددة لثورة التحرير المباركة ، كان بدافع أسباب مختلفة، تعلق بعضها بنوع الروايات الأدبية المتاحة و الآخر بالنهج الذي اعتمده المخرجون أثناء وبعد الثورة وبعضها بالوضع الذي كانت ولا زالت تعيشه السينما الجزائرية ويمكن إرجاع عدم التوازن في الطرح السينمائي لصور نضال المرأة الجزائرية:

\_\_ صعوبة وحساسية تصوير بعض صور التعذيب والمعاناة سينمائيا أو حتى دراميا هذا ما قلل من دورها في الظهور .

\_\_ قلة الرواية وغياب السيناريو : يعاني الفيلم الثوري عموما والفيلم الذي يتناول المرأة من شح الرواية وبالتالي السيناريو القوي الذي بإمكانه إبراز حقيقة نضال المرأة الجزائرية وحتى الروايات الموجودة حاليا مثل: رواية يوميات مدرسة حرة ورواية لونجة والغول لزهور ونيسي أو رواية الانفجار لمحمد مفلح و رواية البزاة لمرزاق بقطاش ... وغيرها من الروايات التي تنتظر تحويلها لسيناريو و منه لأفلام قوية .

وحسب الشاعر والروائي بومدين جلاي فإن الأهم اليوم ليس معرفة النصوص الأدبية المتعلقة بالمرأة فقط والتي تحولت إلى أعمال سينمائية، لكن الأهم في -في تقديره- هو الإجابة عن سؤال: هل كان النقل من النصوص الأدبية إلى السينما أمينا أم لا؟ وبدء من هذه الإشكالية يقول جلاي تبدأ جهود الباحثين في المستقبل(بودهان : 2014/12/15).

\_\_ قلة المخرجين السينمائيين من النوع النسوي (بدايات السينما الثورية بعد الاستقلال).

\_\_ الاهتمام بالقضايا الاجتماعية (التعليم وعمل المرأة ، وتحررها من القيود الاجتماعية) كمواضيع لأفلام سينمائية بعد الاستقلال.، وإهمال دور المرأة في الثورة لأن القضايا الأنفة الذكر بدت كأولويات عن تلك الخاصة بالثورة خاصة من أجل بناء جزائر ما بعد الاستقلال.

## خاتمة:

لا يمكن بأي حال من الأحوال نفي دور السينما الجزائرية والثورية على الخصوص في إبراز صورة المرأة الجزائرية كينونتها ودورها في الثورة والمجتمع على السواء . سواء كانت الصورة واضحة أو ضبابية بطلية أو شخصية ثانوية، إلا أن هذا التناول الفيلمي للمرأة أثناء الثورة كان حاضرا بالصورة وغائبا بالدلالة الرمزية وقوة الطرح التي تكمل الصور وتجعلها تعود للحياة وتتكلم بالحقيقة، ولأسباب كثيرة لم يرقى هذا التصوير للحقيقة التي كانت عليها المرأة ودورها المحوري ومعاناتها وتضحياتها ونضالاتها وصبرها... ومازالت هناك قصص نضال كثيرة تصطف على قائمة ما يجب تصويره سينمائيا أو وثائقيا على سبيل المثال : قصة المجاهدة البطلة **زهرة غمراني** الفدائية والمجاهدة والمعدبة الناجية من حكم الإعدام والتي مثلت أيضا في السينما بعد الاستقلال في فيلم "**دورية نحو الشرق**" ، وقصة الشهيدة يامنة شايب التي تعد قصة نضالها مثلا للصدود واستشهادها درسا في الحرية والتي إن وجدت سيناريو يليق بمقامها وإخراجا قويا قد تنافس حتى فيلم "**عمر المختار القائد الليبي** أو فيلم **BRAVE HEART** الذي يتناول قصة **الثائر الايرلندي وليام ولاس**، دون أن ننسى قصة المرأة المتصوفة "**لالا زينب القاسمية**" وصاحبات اليد الكريمة "**القائدة حليلة والسيدة العالية**". وقصص المناضلات الجزائريات في المهجر أثناء الثورة اللائي لعبن أدوار (كاتبة سرية، عون اتصال، حاملة حقائب، متظاهرة، أمنت الخدمة للمناضلين وساندت المعتقلين أمام المحاكم الفرنسية) . كلها قصص تعد كالأساطير إلى أنها في الواقع حقائق تاريخية تنحني لها الجباه فخرا وتدعو للالتفاف حول تحويلها لأعمال سينمائية ضخمة تليق بمقام النضال وثقل التضحية.

لذا من الأمور التي تستدعي إعادة النظر في هذا الشأن كون أن تصوير فيلم سينمائي ثوري عن المرأة يحتاج لإرادة من الجهات المعنية وميزانية ضخمة وسيناريو قوي وتحقيق تاريخي دقيق مبني على أرشيف كامل وممثلين في المستوى ورؤية سينمائية ثابتة. وإدراكا بأن قيمة الكاميرا تعادل بندقية المجاهد. وإيماننا بأن المرأة مثلت الثورة بكل فخر وكانت طرفا أساسيا في افتتاح الاستقلال ونيل الحرية على مستويات عدة، حرية من قيود الاستعمار ومن قيود النظرة الدونية للمجتمع.

البيبلوغرافيا:

باللغة العربية

المراجع (كتب و مقالات)

1. العسلي، ب. (1990) المجاهدة الجزائرية، دار النفائس، ط3، لبنان.
2. الصلاحي، ع. م. (2015): كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، دار المعرفة للنشر و التوزيع ، بيروت.
3. بارة، آ. بومعزة، ح. (2015-2016): صورة المرأة الجزائرية في السينما الثورية "تحليل نصي سيميولوجي لفيلم الأفيون والعصا"، مذكرة ماستر في السمي البصري، جامعة أم البواقي.
4. بجاوي أ. (2014): السينما وحرب التحرير، منشورات الشهاب، الجزائر.
5. بركات أ. (1995): محاضرات ودراسات تاريخية و أدبية حول المرأة، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.
6. بركات أ. (2014): نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، دار المعرفة الجامعية، مصر.
7. بريكي، ن. (2018-2019): الرؤية السينمائية لدور المرأة في المجتمع الجزائري "دراسة تحليلية سيميولوجية لفيلم "دوار النساء" لمحمد شويخ، ماستر في علوم الإعلام والاتصال.
8. بلاسي، ن. (1990): الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990.
9. بوعزيزي، ي. (2001): المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، دار الهدى، الجزائر .
10. حفظ الله، ب. (2012): الدور العسكري للمرأة الجزائرية إبان الثورة التحريرية 1954-1962، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 06، المجلد 2.
11. رضوان، ر. (2006): دور الدراما التلفزيونية في تشكيل وعي المرأة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
12. زراري، ن. (2010): الطرح الفيلمي لقضية العنف ضد المرأة في السينما الجزائرية" التحليل النصي السيميولوجي لفيلم " وراء المرأة " و"عائشات"، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر.
13. زهور ونيسي، المرأة والثورة، الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، المنعقد بعناية يومي 9 و 10 جوي 1996.
14. سايح ، س. (2020): استراتيجية الثورة الجزائرية في مواجهة وتحييد الإدارة الاستعمارية الفرنسية 1954-1962، مجلة عصور الجديدة ، المجلد 10، العدد 02.
15. سلمان، إ. م. (2010): مدخل إلى مفهوم سيميائية الصورة، المجلة الجامعة ، عدد 16 مجلد 2 .
16. شاوش، ج. ش. (2017): صورة المرأة في السينما الجزائرية ، " قراءة تحليلية لدور المرأة في " فيلم رشيدة "، مجلة الرسالة للدراسات و البحوث الإنسانية، المجلد 1، عدد 1.
17. شرف الدين، م. (2006): الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما، دار رؤية، القاهرة.
18. شلي، أ. (2005): التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1956، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر.
19. عبد الخالق، ن. أ. (2009): الصورة والقصة بحث في الأركان والعلاقات، دار الإيمان، بيروت طبعة 1.

20. عثمانى ، م. (2012): الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب، دار الهدى للنشر و التوزيع، الجزائر.
21. عجوة، ع. (1983): العلاقات العامة والصورة الذهنية، عالم الكتب، مصر.
22. قديد ، ه. (2007): كفاح المرأة الجزائرية: دور المرأة أثناء الحرب التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر.
23. قليل، ع. (1991): ملحمة الجزائر الجديدة ، دار البعث ، قسنطينة، ج1.
24. كاتب، د. (د.ت.): كفاح المرأة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة الجزائرية.
25. كبير، س. (د.ت.): مجاهدات و شهيدات خالديات رموز الفداء والوفاء للوطن، مكتبة الخضراء للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
26. كرازين، ي. (1975): علم الثورة في النظرية الماركسية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
27. مفقودة ، ص. (2002): المرأة الثورية في الرواية الجزائرية ، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر-بسكرة، العدد2.
28. نايلي، ن. (2013): صورة المرأة من خلال السينما المغاربية، "دراسة تحليلية نصية لعينة من الأفلام الجزائرية التونسية والمغربية في الفترة من 2005-2009، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر.
29. نجاي، م. ص. وآخرون(2005): نضال المرأة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، العدد 12.
30. يجياوي، م. وآخرون(2007): دور المرأة في الثورة التحريرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر.

#### الصحافة :

1. بودهان، ي. (2014): عقب الثورة" في أدب وسينما المرأة الجزائرية ، من فعاليات مهرجان أدب وسينما المرأة بدار الثقافة بولاية سعيدة الجزيرة نت ، على الرابط <https://www.aljazeera.net/culture/2014/12/15> ، شوهذ بتاريخ 2023/1/15.
2. مالك، د. و سنجاق، ن. (د. ت.) تحاضر في "صورة المرأة في السينما الجزائرية"، مهرجان السينما المغربية الثالث بمرتيل، <https://www.el-massa.com/dz/%D8%> ، اطلع عليه بتاريخ 2023/01/20.

#### أدوات البحث (المعاجم و الموسوعات):

1. ابن منظور، م. ب. م. (2011): لسان العرب، دار صادر، بيروت.
2. حجاب، م. م. (2004): معجم المصطلحات الإعلامية، دار الفجر، القاهرة.
3. ميشيل، م. (د. ت.): معجم المصطلحات السينمائية، تر: فائز بشور، جامعة باريس3 ، السوربون الجديدة.
4. وجدي، م. ف. (2006): "دائرة معارف القرن العشرين"، دار الفكر، بيروت، المجلد الثاني.

#### باللغة الأجنبية:

1. Maherzi, L. (1980) : Le Cinéma algérien, institution, imaginaire, idéologie, Société nationale d'édition et de diffusion.

2. Stora, B. (2017) : La Guerre D'Algérie Au Cinéma : Etat Des Lieux, Colloque La Guerre D'Algérie Aux Cinéma, Espace Parisien Histoire Mémoire Guerre D'Algérie, Les Actes de colloque .

·-